التواصل السلفي عبر الأنترنت وفكرة إعادة بعث المواطن الأممي: دراسة ميدانية لعينة من السلفيين.

Online salafi communication and the idea of re-sending the national citizen: Field study of a sample of salafis.

أ. رقاد الجليلي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان- الجزائر
أ. كرايس الجليلي، جامعة وهران 02- الجزائر

ملخص: تعتبر الجماعة السلفية داخل المجتمع المحلي، كيانا مستقلا وله مميزاته وخصائصه التي تجعله غير متماهي مع المجتمع ككل، وربما نجد السلفيين أكثر انسحابا من المجتمع الذي ينتمون إليه، ويعيشون داخله، كونه لا يتفق مع تصوراتهم الفكرية والعقدية، ونجدهم في نفس الوقت وعن طريق مواقع التواصل قد كونوا مجتمعات رقمية، عابرة للحدود أو للقومية، وهي تنتمي إلى نفس المدرسة العقدية، مهملة كل الانتماءات الأخرى العرقية والقومية، والمذهبية، حيث إن الفرد السلفي يؤمن بمفهوم الأمة، وهو يسعى إلى إعادة بعث هذه الأخيرة عن طريق تكوين المؤمنين، وتوطيد العلاقة بينهم، دون الالتفات إلى الحدود وإلى الجغرافيا والتاريخ، فالعقل السلفي عقل أممي يؤمن بوحدة المسلمين، لكنها وحدة غير معترف بها واقعا، وهنا اختار العقل السلفي المغترب مواقع التواصل من أجل بعث مفهوم الأمة، ولعب دور المواطنة، لكنها مواطنة رقمية وعابرة للحدود.

الكلمات المفتاحية: السلفي، المواطن الأممي، العبر قومية، المواطنة الافتراضية، التربية والتصفية.

Abstract: The salafist group within the community is an independent entity with its specifications and characteristics that make it incomprehensible to all the society ,and perhaps we find salafis are more withdrawn from the society belong to and live within because it is not consistent with their intellectual and doctrinal perceptions ,and we find them at the says time through the networking sites have become digital communities trans boundary or national, and it belongs to the same nodal school neglecting all other ethnic ,national and sectarian affiliations ,where the salafi individual believes in the concept of the nation and seeks to re-establish the latter through the formation of believers and strengthen the relationship between them without paying attention to the borders and to geography and history .And a salafi mind is national mind that believes in the unity of Muslims ,but it is a unity that's not recognized by reality ; Here ,the salafist expatriate mind chose the sites of communication in order to revive the concept of the nation and to play the role of citizenship ,but a digital and cross-border citizenship

Keywords: Salafi mind National citizen Cross- national Virtual citizenship.

مقدمة:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»، (سورة آل عمران)، فكرة الأمة، أو الكيان الواحد، الذي ينتمي إليه كل المسلمون، هي فكرة مركزية وأساسية لدى الجماعة السلفية، وهي تعمل بكل جهد على إعادة بعث هذا المفهوم، حيث أن الجماعة في بعدها الكوني، ترفض فكرة التقسيم والتفتيت التي رافقت ظهور القومية وبروز إشكالية العرق، وفرض الحدود السياسية المصطنعة، داخل بلاد المسلمين، إذ لم يعد المؤمنون إخوة، بل أصبحوا شعوباً وقبائل، وأضحى المواطن يحل محل المؤمن، والشعب بدل الأمة، والوطن بدل دار الإسلام، كلها تحولات لا يجد لها العقل السلفي أي مبرر، فهو يعتقد أن الإسلام قد ألقى كل تلك الفروقات، وهو يعود دائماً إلى مجتمع الصحابة أو النواة الأولى للأمة الإسلامية، حيث كان التعصب للدين هو البديل لكل جنس أو عرق أو لون، قرر أن يدخل في دين الله، لكن الحداثة وأشراتها غيرت كل شيء، وضربت العقل السلفي في الصميم، لكن ظهور الأنترنت، ومواقع التواصل، مكنت المؤمنين ولأول مرة منذ عصور خلت، تكوين علاقات إيمانية عابرة للحدود، وكافرة بكل مقتضيات الحداثة، ومعلنة بداية عصر جديد، حيث يمكن لأخوة الإيمان أن تهزم فرقة المواطنين، فالعقل السلفي يريد بعث الهوية الإسلامية من جديد، وبعث المواطنة الكونية الأممية، غير أنه بما يصنعه الساسة والقوانين، وقد كانت الأنترنت فتحة دينياً جديداً، قد أحياء فكرة الأمة التي لم يعد لها حدود، وهي مستغرقة للكون كله.

الإشكالية:

لا مراء أن العقل السلفي يستنجد بالماضي، ماضي السلف، الذي يعتقد أن الأمة اجتمعت فيه، وانصهرت في بوتقة إيمانية وعقائدية متألّفة، إنه يحاول أن يستدعي ذلك الماضي ليرتب الحاضر والمستقبل، ليصبح همه المشروع الأممي، لكنه لا الماضي الذي كان بالفعل بل الماضي كما كان ينبغي أن يكون، مبرهنا عليه انطلاقاً من عملية الإسقاط هذه، على أن ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل (محمد عابد الجابري، 1993، ص 12-33)، ولاشك أن التكنولوجيا التواصلية ألهمت العقل السلفي إلى تعميق أطروحته ومحاكاتها لتدشين أمميته، إذ وجد فيها متنفساً وشيوفاً وكونية الانتشار، عبر الدعوة لمشروعه، إذ بات يعتقد أن مواقع التواصل يمكن أن تحقق تجانسا داخل الفضاء السلفي مع رؤيته الكونية، لتجاوزها الحدود وطبها للزمان، لقد ساهمت التوتوبيا الالكترونية في تدعيم أطروحته الفكرية والعقدية، رغم أن التيار السلفي يعاني من الهامشية داخل أغلب الفضاءات الاجتماعية، وهذا ما أدى إلى محاولة تفعيل دعوته عبر التواصل العابر للحدود والقوميات، لإعادة لم الشمل والتشتت التي تعاني منه أمة المؤمنين، ومن هنا سنحاول طرح السؤال التالي:

كيف ساهمت التكنولوجيا التواصلية في إعادة تفعيل مفهوم الأمة لدى التيار السلفي؟

لماذا يستدعي العقل السلفي الماضي لإعادة ترتيب الحاضر؟

وكيف أدت التكنولوجيا التواصلية إلى إلهام العقل السلفي لجمع تشتت الأمة؟

وإلى أي مدى تستطيع مواقع التواصل إعادة بعث المواطن الأممي كما يتمثلها العقل السلفي؟

الفرضيات: تعتبر بمثابة إجابة احتمالية لسؤال مطروح في إشكالية البحث، ويخضع للاختبار (رشيد زرواتي، 2002، ص 94)، وعليه كانت فرضيتنا كالتالي:

- التكنولوجيا التواصلية كفضاء عابر للحدود ساهم في إحياء الفكر الأممي لدى العقل السلفي.

تحديد مصطلحات الدراسة:

العقل السلفي: ونقصد به التفكير الديني الذي ينطلق منه الأفراد في الحكم على مختلف الممارسات، وهو تفكير ينظر إلى الماضي الإسلامي بنظرة مقدسة، ويعتبر كل منجزات السلفية قابلة لإعادة الإنتاج اليوم، وهو يعتبرها الحل الوحيد لكل معضلات العصر التي يمر بها المسلمون.

المواطن الأممي: ونقصد بها الفرد السلفي، الذي يعتبر نفسه منتما إلى الأمة الإسلامية، والتي يحكمها الدين وينظمها، وهو غير معترف بالمواطنة الحالية، ويعتبرها حالة مؤقتة، يمر بها المسلمون، إلى حين إعادة تفعيل الأمة الإسلامية، التي تخضع للدين فقط، وهو مواطن عابر للحدود ومنتني إلى الهوية الدينية فقط.

العبر قومية: ونقصد بها الظواهر التي تخترق سيادة الدولة الوطنية، وتفرض حضورها فيها، وهي لا تعترف بالحدود ولا بالسيادة، كونها ظاهرة تفوق قدرات الدولة الوطنية، مثل الدين الإرهاب، الجريمة المنظمة، وغيرها حيث أصبحت ظواهر تشترك فيها الكثير من الدول، مثل الأنترنت ودورها في إعادة إحياء العديد من الانتماءات المندثرة.

المواطنة الافتراضية: ونقصد بها تلك المجموعات التواصلية التي كونها الأفراد السلفيون عبر مواقع التواصل، حيث أنهم أصبحوا ينتمون إلى تلك المجموعات الافتراضية، وهي لا تعترف سوى بالهوية الإسلامية، وترفض كل الانتماءات الأخرى، وهم يعملون على نقل مواظنتهم من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي، وهي جميع الأفراد والمجموعات التي لها هدف أو مرجعية معينة أو أيديولوجيا موحدة وناظمة لكل علاقاتهم الافتراضية تقودهم إلى إنتاج المضامين التي تقودهم نحوه.

التصفية والتربية: تقوم التصفية والتربية كما صاغها «ناصر الدين الالباني» على تصفية العقائد وتهذيبها، بتنقية الكتب وتوضيح العقائد الفاسدة وإصلاحها، ثم تربية النشأ على هذه العقائد والعبادات الصحيحة المصفاة كما فهمها السلف من القرون الخيرية، وقد اتخذ الالباني هذا النهج التزاما بما فعله النبي مع الصحابة بالدعوة إلى العقائد وترك الشرك، بتوضيح التوحيد الصحيح ثم تربيته على ذلك الدين الصافي.

المقاربة النظرية للموضوع: سنعتمد في هذه الورقة على فكرة ما بعد الحداثة عند «يورغن هابرماس»، وعودة الدين في كل المجتمعات بما فيها الحديثة، حيث يقول في كتابه قوة الدين في المجال العام: هناك إحياء واسع للإيمان شمل المسلمين والمسحيين. (يورغن هابرماس وآخرون، 2013)، حيث يؤكد هابرماس على عودة المسألة الدينية في الدول المابعد علمانية، ويعتبر أن المابعد ميتافيزيقية أصبحت تؤسس للدولة الأمة، عبر ممارسة كل ديانة تبريرات إغوائية وتدعي أنها تملك الخلاص، إذ لم يعد الدين مسألة شخصية، ونقده للحداثة القاتمة، التي أقصت الدين بعد عصر التنوير، وإنما يعتبر أن الدين بات عنصرا رئيسيا في الفضاء العمومي الراهن، مستلهما ذلك من القضايا الدولية ذات الأبعاد الدينية خصوصا بعد [1] سبتمبر، ليؤكد هابرماس أن عودة الدين إلى الفضاء العمومي مرتبطة بمجموعة من العوامل الراهنة، كالأصوليات الدينية والإرهاب وإنتشار التبشير وتسامي العنف باسم الدين، بالإضافة إلى التوظيف السياسي للجماعات الدينية، إذ أصبح الدين لاعبا أساسيا وفاعلا وتآكل العلمانية والعقلانية الحديثة أمام العودة إلى البحث عن المفقود، لذلك يرى ضرورة الاعتراف بالآخر الديني، وبالتالي فإن السلفية من الجماعات الدينية التي ترفض الحداثة بمفهومها وتحاول العودة إلى العقائد الشمولية في عصر ما بعد العلمانية، عبر الدعوة والتبشير بكونية خطابها من خلال الشبكات التواصلية.

المنهج المتبع: إنطلاقا من اعتبارنا أن المنهج موقف ملموس تجاه الموضوع وفي هذه الحالة يملئ المنهج، خاصة طرق ملموسة لتصور البحث أو تنظيمه (مادلين غراويتز، 1993،

(ص10)، وفق الرؤية التي تأخذ فيها طبيعة الدراسة بيد الباحث إلى بناء منهج على التصورات التحليلية التي يستخدمها في تفسير الظاهرة، ولذلك فإن هذه الرؤية قادتنا إلى استخدام «المنهج الفهمي التحليلي»، إنها تحليل مبنية على «الرؤية الفيبرية» «لماكس فيبر»، نريد من خلالها التوضع لإعطاء مجموعة من التفهيمات للظاهرة السلفية واشتغالها على التوسع والتمدد اليوم، على مساحات واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي، ومحاولة الفهم تقودنا إلى التعرف على الدلالات والمعاني من خلال هذه الظاهرة، التي طفت على السطح بشكل لافت، وأصبحت تشكل هالة من المواقع السلفية، التي تريد بعث الهوية السلفية بالدعوة على المواقع الالكترونية وخاصة بتبني العديد من الاستراتيجيات، لتصحيح العقيدة وممارسة «التصفية والتربية» بشكل أممي، وبالتالي إنها صيغة دشنها الفتوحات الثقافية في عصر المعلومات لإعادة بعث الماضي من خلال «المشروع السلفي الأممي».

التقنيات المستعملة: إن البحوث السوسولوجية تعتبر فيها التقنيات البحثية بمثابة المركزية، التي يتطلبها الباحث لأي دراسة، ومن هنا قمنا ببناء دراستنا على التقنيات الآتية:

المقابلة: لقد استخدمناها كأداة رئيسية في الدراسة، فهي عبارة عن محادثة موجهة بين الباحث وشخص أو أشخاص آخرين، بهدف الوصول إلى حقيقة أو موقف معين (محمد عبيدات وآخرون، 1999، ص55)، وقد وقع خيارنا عليها، لأنها تلائم طبيعة الموضوع الذي يسير وفق المنهج الكيفي، في البحث عن الرموز والمعاني التي نريد من خلالها البحث في توجهات العقل السلفي، وبنيتها وتشكيله لتلك الرمزيات التي تقودنا المقابلة إلى جمع أكبر قدر من المعطيات والمنطقات، قصد فهمها وتحليلها، وقد استعملنا «المقابلة غير الموجهة» التي لا يتبع الباحث فيها طريقة منتظمة في توجيه أسئلة معدة مسبقا، ولا تطرح الأسئلة وفق ترتيب بتوجيه من الباحث أو من دون توجيه حتى يشجع المستجوبين على ربط خبراتهم ووصف الأحداث التي يقدرون أهميتها وتقديم تعاريفهم الخاصة للحالة والإفصاح عن آرائهم ومواقفهم، حسب رؤيتهم لمدى ملاءمتها، (شافا فرانكفورت ناشماز، 2014، ص237)، إن هذه النوع من الأسئلة يقودنا إلى إثارة العديد من الزوايا لدى المبحوث السلفي، باعتبار العقل السلفي يمثل نوع من الانغلاق والتوجس. فأردنا الإثارة معتمدين توجيه أسئلة حول الجوانب التي أردنا البحث فيها.

الملاحظة: إن الأهمية التي تتميز بها الملاحظة لا تقل عن أي أداة، إنها بمثابة النبض في البحوث السوسولوجية، فلا يكاد أي بحث يخلو منها، فقد كان لها الدور الكبير من خلال الكشف عن الإيماءات والسلوكيات، التي قادتنا إلى التعرف على الكثير من جوانب البحث حول العقل السلفي، ومدى علاقته بمواقع التواصل الاجتماعي والطموحات التي يصبوا إليها.

مجتمع البحث: لقد قمنا باختيار مجموعة من السلفيين الناشطين داخل مجموعات افتراضية، خاصة بنشر الفكر السلفي: مثل مجموعة قناة منهاج النبوة الفضائية، التي يتابعها أكثر من 112 ألف (www.facebook.com/MenhagTV)، ومجموعة التصفية والتربية التي تحتوي على أكثر من 75 ألف عضو (facebook.com/groups)، ومجموعة الدعوة السلفية تيسمسيلت (/www.facebook.com/tissemisilt.slf1/) ولقد تمت دراستنا عبر فترات متقطعة لصعوبة التواصل مع مجتمع البحث، وعلى عدة أسابيع كانت بدايتها شهر جانفي 2018.

العينة والمعينة: تعتبر العينة من المراحل المهمة في البحث العلمي السوسولوجي، إنها تصوبه نحو الدقة، فاختيار العينة يكون وفق التمثيل الدقيق للدراسة، باعتبارها جزء من المجتمع الذي تجري عليه الدراسة، يختارها الباحث لإجراء دراسته على وفق قواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا (كرو العزاوي، 2007، ص161)، لقد اخترنا عينة مكونة من «15 مبحوثا»، وهم من بين الناشطين على المجموعات، وكانت المعينة متعلقة أساسا بالمنشورات وما تحتويه صفحات المبحوثين أو التعليقات، التي تمثل جزءا كبيرا من التوجهات والمعاني والدلالات المتعلقة

بسياق بحثنا، فهذه الخصوصيات جعلتنا نقوم بالتواصل مع عينة الدراسة، حيث قبلوا إجراء المقابلة معنا بصعوبة، وهي مقابلات إلكترونية، حيث تم إرسالها عبر الفايبروك، وكذلك الرد عليها والتواصل مع عينة الدراسة مباشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، قمنا فيها بإثارة القضايا الرئيسية التي تتلاءم مع طبيعة الموضوع، للحصول على أكبر قدر من التمثيلات، التي تقودنا إلى فهم تصورات السلفيين لتفعيل مشروعهم الأممي من خلال الفضاء التواصلية .

المعايير السوسولوجية للمبحوثين:

المتغيرات	التكرار	النسبة%	المتغيرات	التكرار	النسبة%
السن	18-25	07	مدة التواصل يوما	13	47
	25-30	03		2	40
	30-34	05		06	47
	المجموع	15		07	100%
المستوى التعليمي	ابتدائي	1	المستوى المعيشي	ضعيف	2
	متوسط	03		متوسط	10
	ثانوي	07		عالي	03
	جامعي	04		المجموع	15
	المجموع	15		100%	

التعليق على العينة:

تعتبر الجماعة السلفية جماعة شابة في أغلب الأحيان، حيث نجد الشباب كفئة عمرية مرتبطة بنمط التدين السلفي، ولكن المراحل الأولى لهذه الفئة التي تتراوح بين 18-25 هي الفئة الأكثر استقطابا من طرف السلفية، حيث مثلت نسبته 47%، باعتبار المراهق يبحث دوما عن إثبات الذات وبناء الهوية، ومحاولة التميز والتمايز عن بيئته، لتتراجع النسبة في الفئة 25-30 ونسبة 33%، إذ يصبح فيها الشباب أكثر نضجا، وتدينه أكثر اتزاناً من المرحلة السابقة كما يقل بنسبة 20% عند الفئة العمرية 30-34.

ينحصر المستوى التعليمي لدى الشباب السلفي ذو الثقافة المتوسطة بنسبة كبيرة بين المستوى الثانوي والمتوسط حيث كانت نسبهم مجتمعة كبيرة، فكانت المستوى الثانوي بنسبة 47% والمتوسط بـ: 20%، وهي نسبة عالية تدل على ثانوية وتوسط الثقافة السلفية، أما المستوى الجامعي فيمثل لدينا أن السلفية في إطار بناء سلفية أكاديمية متعلمة بالدعوة إلى العلم والتعلم، فكانت نسبة المستوى الجامعي مرتفعة نسبيا بـ: 26%، وانخفاض المستوى الابتدائي بـ: 7%.

يكون التواصل بين السلفيين مرتفعا جدا نتيجة لما لتحض عليه الجماعة المرجعية، بغية التراس والتعاقد وتبنيهم للدعوة على مواقع التواصل، ولذلك كانت نسبة التواصل مرتفعة وتنفوق أكثر من 03:00 سا بنسبة 47%، كما مثلت نسبة التواصل عند الفئة المحصورة بين 01:00-02:00 ساعات نسبة مرتفعة نسبيا بـ: 40%، لتتراجع نسبة التواصل إلى الحد الأدنى عند الفئة الأقل من ساعة بـ: 13%.

السلفية جماعة ميسورة الحال، حيث شكل المستوى المعيشي أعلى نسبة عند الفئة المتوسطة بنسبة 67%، وهي نسبة تؤكد توسط الحالة السلفية المادية، كما تأتي نسبة المتوسط المعيشي العالي بـ: 20%، وكانت نسبة المستوى الضعيف بنسبة منخفضة 13%، ويعود انخفاضها إلى أن السلفية أصبحت جماعة حضرية تتعاقد ماديا كما عقديا لترفع من مستوى معيشتها.

التأويل السوسولوجي للمقابلات:

انطلقنا في تحليلاتنا للمعطيات من الفهم والتحليل لتلك الفئات والمنطوقات والمعاني التي لها علاقة، وتشكل معنى للتواصل لدى الشباب السلفي، ولذلك لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن

الباحث يريد أن يختبر فرضيات بحثه باستخراج عناصر ذات دلالة، أي التي لها علاقة بفرضيات البحث تلك. فإذا كانت تقنية التحليل لاختبار الفرضيات "تحليل المحتوى"، فيجب أن يكون هذا التحليل ذو علاقة بفرضيات البحث ويلعب هذا الدور الفئات "سعيد سبعون، 2012، ص231)، من خلال استنطاق الخيال السوسولوجي الصحيح، الذي يقودنا إلى فهم أعمق للمعطيات الكيفية المجمعة.

أولاً: العقل السلفي وثنائية الماضي وإعادة ترتيب الحاضر:

يقول عبد الغني عماد في كتابه «السلفية والسلفيون»، بما أن السلفية مشتقة من السلف فهي إحالة إلى أفضل العصور وأولاهها «بالاقتداء والإتباع» فالماضي هو المنطلق والمرجع (عبد الغني عماد، 2016، ص119)، وإذا انطلقنا من المقولة الشائعة في الوسط السلفي «متبع لا مبتدع» إنها بمثابة الانطلاقة التي تحرك الماضي في الوجدان السلفي الحاضر، إنها بمثابة الدفعة التي تسبقه في الفكر والسلوك، فإن القريب من الحقل السلفي يدرك من الوهلة الأولى أنهم يعيشون في حالة النكوص إلى الماضي، لكن هذا العيش يستجدي من خلاله ترتيب الحاضر وبطريقة متأسسة على ذلك الفهم الذي يكنه العقل السلفي لسلطة السلف، التي تتعدى في الكثير من الأحيان النصوص أو توازيها في قوتها، حيث يعتقد السلفيون أنهم يعكسون هوية الأمة الإسلامية في صفاتها ويميزونها من بين الأمم، لتعبر عن شخصيتها الحضارية (قاسم محمد بن المهلل الياسين، 2012، ص10)، إن هذا الترتيب الذي يقيمه، يجعله غير قادر على ترتيب حاضره ومستقبله فعلياً، إنه ترتيب يضمم نوعاً من الريبة والشك في الحاضر، فهو يرفض في الغالب كل أشكال الحداثة وما توفره لنا وتدر به علينا، ويجعل من قواعدها وقوانينها في خانة الشيطنة التي أدت إلى تشكل عقدة المؤامرة. ولكن بالرغم من هذه الحالة من عدم التوازن واللاسوية في العقل السلفي، إلا أنه يجعل من نفسه الحل الوحيد والقادر على إخراج المجتمعات من تخلفها، بل يجعل حتى الفهم والتفكير في ركونه إلى فهم السلف باعتبارهم الأقدر والأجدر في تفسير الديانة، وهذا مسلم به. ولكن إذا عدنا إلى تفسيراتهم وأفهامهم فإنها لا تخرج عن الزمن الذي أقاموا فيه والبيئة التي نشأوا فيها، ولذلك نجد أن العقل السلفي في ترتيباته مازال يعقد الأمر على الماضي بما فيه دون التجديد أو التقدم في الفهم، ومن ذلك مثلاً ما تزال تلك الفتاوى والأحكام الشرعية التي قدمها فقهاء العصر الأول حول دار الكفر ودار الإسلام والجزية وغيرها تحكمه، فهو يريد العودة إلى الماضي دون أن يشعر أنها حالة من التماهي معه، بل أكثر من ذلك فهو يشكلها في السمات للأتباع، إذا الهوية السلفية، بحسب "داريوش شايغان، بمثابة» غطاء أيديولوجي إرتكاسي تعتمد المجتمعات الضعيفة في ظلّ التحولات الدولية، وذلك كبديل للحداثة الكونية» (محمد أبو رمان، 2014، ص23)، لتعتبر نفسها صمام الأمان للمجتمع المسلم وأن ما تقوم به قد ينجبها، إنها تستدعي التراث بكل ما فيه لتحتمي وتتفوق، فقد بنيت في أدبيتها وأصولها بصورة دوغمائية إحتباسية ضد كل من تراه يهددها، سواء من دائرة الإسلام أو غيره، بوضعها تقعيداً مستميتاً لتأصيلاتها، وخصوصاً ضد التجديد أو التنقيب وإعادة قراءة الماضي الذي تعمد إليه، والتزامها بقراءته حرفياً وإهمال الحاضر. حيث يقول أحد السلفيين: الحل هناك في قال النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الصحابة والتابعون، أما كل فلسفات الغرب فلا خير فيها بل هي الشر بعينه (المقابلة رقم 07، يوم 2018/03/02).

وبالتالي فإن هذه الصورة هي مغلوطة للذات السلفية، الراض لقراءة الواقع الاجتماعي، يترجم لدى هذه المجتمعات برفض التجديد والتمترس عند العقليات القديمة، بالهرب إلى استعادة العصر الذهبي للحضارة العربية والإسلامية في القرون الوسطى، والاكتفاء بما جرى إنتاجه في تلك الفترة في ميادين العلوم والفلسفة، فالفكر الرجعي بحسب شايغان: يتميز بـ «عبادة البدايات»، التي تؤسس النظر إلى الحداثة بوصفها مؤامرة (محمد أبو رمان، 2014، ص23)، إن هذا الخطاب

التخويفي والتهويلي من كل ما هو حديثي، وربطه بمسألة الولاء والبراء، أي الكفر والإيمان أو الجنة والنار، أثر بطريقة كبيرة على الأفراد السلفيين، وساهم في تعزيز مكانة المشايخ، الذين استطاعوا صنع توليفة من الخطاب، الذي يربط بين كل مجريات الحياة ومسألة الجنة والنار، وهنا يمكن العودة إلى أهمية الخطاب، حيث أنه أحد أهم المؤثرات الأساسية على النفس البشرية، فقد كان وما زال الوسيلة الرئيسية المعتمدة في توجيه الأفراد وتغيير المجتمعات (خليفة نوري مسيهر العاني، 2009، ص 207)، فخطاب علماء السلفية، جعل من الأفراد يعيشون فوبيا دخول النار وهوس دخول الجنة، وبذلك الحذر من كل شيء والسعي إلى مطابقته مع النص، قبل الشروع فيه أو الإحجام عنه.

وإذا عدنا لجميع التفسيرات السلفية فإنها مركونة إلى النقل الحرفي الذي يتكى على الموروث، إنها صيغة هروبية أو إنسحابية معقودة على فشل المستقبل بلا ماضي، إنها عقلية المحاكاة التي تلزم السلفي وتوهمه بكونية دعوته، لتجبره على إعادة ذلك العصر الذهبي الذي غلب فيه المسلمون، فإن جميع الخطابات السلفية تلزم الأتباع بالتقنين الدقيق ليس من الزاوية القانونية الراهنة أو الوضعية، وإنما بتلك التشريعات التي تعتبرها أحكاما وقواعد دينية أنتجها السلف الصالح لعصورهم، فإن الهوية السلفية جعلت الفرد تحت الرقابة الدينية التي جعلت لها التزكية والجرح، وهي صياغات خطية يكتبها عالم الجماعة أو مجموعة من العلماء بصيغة الثناء أو التحذير من الآخر وصيغة تراثية لها استنادا في الماضي حتى الألفاظ المحجوزة في العقل السلفي التاريخي: مدلس كذاب عقلي قبوري، حركي، تكفيري، أصبح يعاد إنتاجها، إنها بمثابة الطريقة التي أشغل عليها العقل الأول في تشكيل سلفيته على الرواية والسند بالجرح والتعديل، دون إعمال الدراية أو التوسع فيه، لأن العقل السلفي يقوم على الحفظ، بحكم خصوصيته الاعتقادية والمنهجية، غير المهيأة للقرار «بالآخر» من القراءات الإسلامية، فإنها ترى في نفسها «الفرقة الناجية» التي تحدث عنها النبي مختزلة بذلك الإسلام كله بشخصيتها" (الطيب تيزيني، 1997، ص 34)، حيث رد أحد السلفيين: نحن على الجادة وعلى طريق أهل الحق وإن الفرق الموجودة اليوم، ما هي إلا سبل الشيطان يريد أن يهلك بها الأمة (المقابلة رقم 15، 2018/03/06).

بالرغم مما يعيشه العقل السلفي من انتشار المعلومات والفكر في عصرنا، فهو يرجع أفهامه للماضي، كمحاولة لترتيبها وإعطائها المشروعية على الواقع، ومن هنا ندرك أن السلفية ترى أن ما أنتجه السلف لا يمكن أن يوازيه في مضمونه أي فكر، ولذلك يعيش العقل السلفي على ما أنتجه السلف وبأفهامهم وتجده يبحث في تلك الكتب الصفراء، عن مستند لأي قضية تعتريه أو فهم للوقائع على الفهم السلفي الأول، إذا فالماضي هو الذي ينطق بكل ما فيه من تناقضاته وأخطائه أو عدم موافقته للحاضر، بالرغم من الصراعات والاختلافات التي حدثت بين السلف الصالح بمفهومه الواسع. فالعقل السلفي يتعامل مع الماضي بصورة انتقائية دون الخوض أو المراء في تلك الخلافات. فالسلفية هنا أصبحت بمثابة العقل القياسي الذي يبرر الحاضر والمستقبل بالماضي ويقول عبد الغني عماد: إنه لا مشكلة في قراءة التاريخ ووقائعه للإستفادة والإجابة على تحديات الواقع والمستقبل باعتباره المخزن لذاكرة الشعوب، ولكن حالة السلفية لا تكفي بمجرد الإحالة للعصر الذهبي وإنما تعمد إلى تأسيس منهج يقنن العلاقة بالتاريخ والتراث مما يستدعي التاريخ وقراءته بصورة إيديولوجية تستهدف صياغة الحاضر والمستقبل وفق صورة مثالية مقطوعة من الماضي (عبد الغني عماد، 2016، ص 119)، وتركز عليه الجماعة السلفية في تسطير الخطوط التي تهتم بها في توسيم الأشخاص بين المخالف والمتبع، وإذا تمعنا في جميع الخطابات السلفية أو جلها، فإنها تعتمد على توسيم أي قول بصاحبه ومرجعه من الماضي ولكن قراءة الحاضر بالماضي، هنا إهدار للدلالة التاريخية للنص المقروء وتعيديها وتضحيتها بالإبستمولوجي لحساب الأيديولوجي (حيدر إبراهيم علي، دس، ص 19).

لكن ما نريد الإشارة إليه أن السلفية اليوم، تتخذ من اجتهادات الماضي مرجعية أساسية، في فهم المستجدات الدينية اليوم، ولذلك فإن الاجتهاد بالمفهوم السلفي، يعني عدم الخروج عن حدود النص، وعن فهم الجيل الأول من المسلمين، كونه جيل يتميز بالعدالة اللامتناهية، وهنا يصبح للتدين محاولة جعل الفرد لا يميل إلى التنوع والاختلاف على أساس بوتية مثالية عالقة بالتكوين الفقهي والعقائدي، المتجاوز للشروط المتاحة على الواقع الراسخ في الماضي، فعقل السلفي يرفض البحث عن أية حلول خارج فكرة إعادة الماضي وتفعله في الحاضر دون كثير من النقاش، فماضيه القرآن هو نص إلهي متسامي، والحديث النبوي هو أيضا وحي من درجة ثانية ونقله والحي عدول ولا شك في عدلهم.

ثانيا: السلفية بين هامشية الواقع وكونية الطموح:

هناك من لديه الشجاعة على البحث عن المكان السعيد في اللامكان (زيجمونت باومن، 2017، ص110)، فحين نستصحب فإن العقل السلفي نجده يتسم ضمن سمات كثيرة. إنه «عقل مثالي» حيث يتمركز حول «المفترض»، فهو منجذب إلى مجموعة من القيم والأخلاق والمبادئ، كنقطة ارتكازية في التحليل والتشخيص والتفكير، ما يجعل السلفي يكثر من استخدام بعض الجمل والتراكيب: «ما يجب أن يكون»، «ما يتوجب علينا» (عبد الله البريدي، 2014، ص56)، إنه إيعاز منه إلى كونية الطموح، الذي يهيمن عليه، نتيجة للانتقائية التي خطتها الرؤية السلفية، بكل تراث المسلمين، في تفكيرها وعقدتها للأمور على ما كان وليس ما هو كائن، لأن هذه الرؤية مستلهمة من الماضي الذي ترى أنه لازم التحقق في المستقبل، وبصيغته التي تحققت في السابق، وإنها الأحق بتحقيق مجتمع الأمة الموهوم، يقول أحد المبحوثين: أنا أتواصل مع إخواني من كل مكان، ونحن على قلب رجل واحد، هدينا كتاب الله وسنة نبيه، وسيرتنا سيرة السلف، أنا أعرف الكثير من المؤمنين في الفايسبوك، ولكن في الواقع عددهم ضئيل (مقابلة رقم 05، 2018/03/04)، ولذلك أصبح لهذه المثالية سطوة على تركيبة العقل السلفي، بما يوصله لهذا المشروع، من القواعد الدعوية «التصفية والترقية» «الفرقة الناجية» وإعادة بعث «التوحيد الصافي» «السلف» الذي جعل منه المخرج الوحيد الذي يشكل رؤيته لقيم المشروع الأممي، الذي تتنادى به السلفية، ومع كل هذا الطموح الذي تخمنه، فإنها تهمل الكثير من المصالح القائمة والعلاقات السائدة وانتكاسها عن الوقائع، الذي جعل الفرد السلفي أكثر هامشية، ولذلك فإن الإشكالية الحقيقية في رؤية العقل السلفي لكونيته، مبنية على «المثالية المفرطة» التي يميل فيها إلى أن الناس يجب أن يتفقوا تقريبا في كل شيء، ويضيق ذرعا بالاختلافات وهو ما يجعلنا نقر أن العقل السلفي «عقل استرجاعي» لا «عقل توليدي» (عبد الله البريدي، 2014، ص56)، إنه يسترجع أمميته من الماضي كما هو، ليسترسل في التفكير به لمستقبله، إنه تفكير مغلوط جعل السلفية أكثر هامشية من بين الفرق الإسلامية الراهنة. وهي أكثر هامشية داخل المجتمع الذي تعيش فيه، فهي منسحبة ثقافيا وتعيش داخل جماعة مرجعية، لا يخرج أي سلوك من سلوكاتها اليومية عن النص، فالنص وقول العلماء يحدد كل شيء، ورهاب دخول النار والحرمان من الجنة يطارد السلفي في كل حين، حيث يمكن القول: إن الفرد السلفي في رحلة مستمرة لجمع الحسنات وتجنب السيئات، وهنا نشير إلى أن الفرد السلفي كغيره من أفراد هذا العصر، الذي أصبح الدين موضوعهم الحيوي الذي يتجادلون حوله (نيكولاس آدمز، 2016، ص08).

فالملاحظ أن هذه الهامشية التي يتميز بها السلفيين واعتناقهم لتلك الحالة الإغترابية أو الانسحابية، كانت نتاجا لما ألزمت به السلفية نفسها، باحتكار الطهارة والنقاوة، وهذا جعلها أكثر بعدا عن الواقع، بالنظر إلى مشروعها الأممي الحالم، ولذلك ليس من المعقول أن يجعل العقل السلفي من نفسه الأحق بتفسير اللاهوت، وإعطاء الشرعية على هويته، وجعلها الحاكم الوحيد لتوسيع رقعة «الإسلام الأممي»، وأن سطوة العقل السلفي الذي يمارس النظرة المتعالية لأحقية

مشروعه، والتي تحتكم في الغالب إلى الفهم الاطلاقي الوثوقي، الذي يجعل من نفسه الأحق بهداية المجتمع، فبالرجوع إلى واقع السلفية، تجد أن أتباعها أكثر هشاشة في علاقاتهم وروابطهم التي تسري وفق الإطار المرجعي للجماعة، فهي لا تولي أي اهتمام للأخر، إنها تمارس تلك الصيغة الانشطارية في الهوية، بين الهامشية ومحاولة «هداية العالمين»، ولذلك فإن السلفيين يعانون من عقدة التفوق والتعالي المستमित، بالاصطفاء وامتلاك الحقائق كما فهمها السلف وحتى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تجبرهم في الكثير من الأحيان، على تسطير رؤية واستراتيجية مختلفة في الحلول، تتخذ شكلا منمطا، يصل إلى التطييف الديني، ويلزمهم هامشية النظرة أو حتى الممارسات، وهنا نجد أن المفكر السوري «إلياس مرقص» قبل أكثر من ربع قرن، قائلاً: "مشكلتنا ليست في سيطرة الفكر الديني؛ بل في عدم وجود فكر ديني حقيقي، المسألة الدينية خُفقت وهُمّشت وحلت محلها المسألة الطائفية؛ حيث كل طائفة تريد أن تثبت أنها الحق، وتنزل، وتتطوي (جاد الكريم الجباعي، 2017)، ولذلك فإن العقل السلفي ينحاز في أطروحاته إلى العيش على تلك الهامشية التي تنطوي على ما يكفل تبريرا لها، فإنه يسلم بأن كل ما يراه ليس خاضعا في النهاية إلا لما تصوره مذهبيته، ومن ذلك فإنه يرى أن كل الحلول معقودة على التوحيد دون أي ارتكاز لتفسير آخر، إلا الذي أقره، فهو بهذه الصيغة قد ألغى جميع العلاقات والمصالح المشتركة بين الجماعات والأفراد، إلا في الإطار الذي تحدده حقيقته السلفية بمبدأ الرجوع إلى الإسلام، كما بدأ نقياً قبل أن تلوثه الأهواء والبدع القديمة والمعاصرة، والعمل على بناء قاعدة صلبة تستند إلى الفردية وليس الجماعية، في صورتها التنظيمية والحزبية (محمد أبو رمان، حسن أبو هنية، 2014، ص243).

وإذا رجعنا إلى الواقع فسندرك أن هذه الطريقة في التنظير والتفكير أركست العقل السلفي وجعلته أكثر انحباسا، فانعكست أطروحاته على الإتياع في السلوكات اليومية، فهم يعيشون في رحلة اغترابية عن مجتمعاتهم، إنها صورة إنسحابية أخضعت السلفيين للهشاشة في جميع العلاقات الاجتماعية، حيث صرح أحد الباحثين قائلاً: لدي إخوة تعرفت عليهم في الفاييبوك أزورهم ويزوروني وأحضر مناسباتهم، بينما أتردد في زيارة أهلي وحضور مناسباتهم لما فيها من البدع والانحراف عن جادة الحق (المقابلة رقم 15، 2018/03/06)، ولذلك نجد أن هذا المنطق يسيطر على كل الحوارات السلفية المحورية، في نمط التعامل المجتمعي عند السلفيين حديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» هناك حالة من الإستعداد والالتذاد في الأوساط السلفية بمخالفة المجتمع والشعور بالعزلة، والكوجيتو السلفي المساعد على نشوة الشعور بالطهورية والنقاوة، رغم أن من صفات المؤمنين أنهم يألفون ويؤلفون (أحمد سالم، عمرو بسيوني، 2015، ص599)، ولكن بالنظر الواقعي، تجد الفرد السلفي ينظر إلى تصوراته بكونية الطموح وأن تصفية عقائد وعبادات المجتمع وتربيته سوف تؤدي في النهاية إلى قيام دولة الإسلام، دون الاضطرار إلى مواجهة الدولة القائمة، والتشكيك في شرعيتها، وهي الفلسفة التي تبرز تحت عنوان أهداف الدعوة السلفية (محمد أبو رمان، حسن أبو هنية، 2014، ص244)، وبهذه الصيغة التي توهمه أن عليه هداية الآخرين لأن لديه الحق بما يحمله من الحقائق والاطلاق الديني، وأنه كفيل بحل مشاكل العالم، بالرغم من الانعزال الثقافي والاجتماعي، الذي يميز السلفيين، ولهذا الانغلاق وظيفة دفاعية في الخطاب السلفي، فعبره تحافظ الإيديولوجيا على تماسكها وتحمي نفسها من التجديدات، التي تظهر على خطابات دينية أخرى (عبد الحكيم أبو اللوز، 2009، ص89)، فوظنت لدى الأتباع هشاشة، بالرغم من الادعاء السلفي حول كونية الخطاب ومحاولة التجمع على نموذج السلف وإعمال «التصفية والترقية»، إنه مجرد خطاب إيديولوجي، لا يرقى إلى ما يضطلع عليه واقع السلفية من الهشاشة في الروابط والعلاقات الاجتماعية للسلفيين.

ثالثاً: مواقع التواصل عند السلفيين وعملية إعادة إنتاج الماضي:

من غايات المجتمع الافتراضي الدعوة الدينية (محمد علي فرح، 2014، ص232)، أي أن التكنولوجيا والتي تعتبر قمة الحداثة، وانتصار العقل، قد تصالحت مع الدين، الذي أبعد من الحوارات داخل الفضاء العام طيلة قرون، لكن اليوم الله يخرج إلينا من قبل التكنولوجيا ومن قمة ما أنتج العقل البشري الحديث، ومن وجهة نظر فكر ما بعد الحداثة إلى غاية انفرط عقد السرديات الكبرى، بما في ذلك النصوص الدينية والصروح العقائدية (نبيل علي، 2001، ص417)، في ظل المجتمعات الافتراضية، فإن ما يحدث اليوم على المسرح العالمي لتحول البيانات الكبر يرسم تكتيكات جديدة، دشتها المعلوماتية الفائقة، ومن هذه الزاوية أدركت هذه البيانات أن مواقع التواصل أضحت قوة فاعلة في الدعوة إلى معتقداتها، ولذلك فإن السلفية لا تخرج عن هذا الإطار، بل إن مواقعنا تحمل في طبيعتها روح الدين وعلى الطريقة السلفية، ومن المسلم به أن العقل السلفي عقل حنني للماضي، ولذلك فإن «اليوتوبيا الالكترونية» الراهنة للسلفيين أصبحت تلزمهم بإعادة التشكل والبعث لكونية الخطاب السلفي، إذ أن المواقع الافتراضية باتت تشكل عوالم بديلة للثقافة السلفية المنسحبة والمتخاصمة مع كل الثقافات، فأصبح السلفي مواطناً افتراضياً، أو كونياً، فهو لا ينتمي إلى دولة معينة بقدر ما هو منتمي إلى جماعة الإخوة، حيث التدين وطريقته، هو الشكل الوحيد الذي يحدد الأخوة ويرسم تفاصيل العلاقة، يقول أحد الباحثين: التكنولوجيا والأنترنت أتاحت فرصة غير مسبوقة للدعوة إلى الله، ففي مجموعة مقارنة الأديان استطعنا بفضل الله هداية الكثير من النصارى والشيعية والملاحدين، وأصبحوا إخواناً لنا في الله (المقابلة رقم 01، 2018/03/01)، فإن ذلك موهوم على الأحقية التي ألزم نفسه بها واستثنائه بفرقة أهل الحديث، وجعله الوريث الوحيد لأهل السنة، بإسقاط الحاضر بما فيه من الحداثة المعلوماتية والتكنولوجيا، في أحابيل الماضي التليد، إنها رغبة جامحة لإنتاجه وضرب الواقع واخضاعه لنموذج السلف ان الصيغة مواقع التواصل بفعاليتها زادت من التعاضد والتلاحم بين السلفيين الذين يعتبرون من الطبقات الوسطى أو الفقيرة لتكسر الحواجز الطبقيّة السابقة، وخصوصاً التدين المؤسسي، وبذلك فالمواقع السلفية كسرت الفضاء العمومي القديم الذي احتكرته السلطة، ليثبته السلفيين أنفسهم بتناقل الدعوة سرا، وكأنهم يوهمون أنفسهم أنهم في العصر الأول، ولذلك فإن التأصيل «الألباني» للسلفية المعاصرة حول «التصفيّة والتربية» خلق استهماً، صيغة حسب البدايات الأولى للدعوة الإسلامية، التي كانت في أولها دعوة للتوحيد، لتتحول بعد تربية الرسول صلى الله عليه وسلم النشأ، إلى تشكيل مجتمع الأمة على منهاج الخلافة الراشدة. إن التنظير السلفي الذي تزامن اليوم مع العالم الافتراضي، الذي أضحى كشرىك أساسي ساهم في خلق مجتمع شبكي مواز، ساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة صياغة منطق التواصل والعلاقات «السلفية» عبر التكنولوجيا الرقمية (كلثوم بن بيبمون، 2016، ص69)، كمحاولة لتشكيل الهوية السلفية الكونية، التي تبعت المواقع السلفية إلى تجميع الأتباع، رغم التشتت الذي تمر به الهوية السلفية بين الدول، إنها بمثابة الدعوة من قبلهم للبحث عن مجتمع الأمة، إنها يتوبيا يعيشها كل فرد سلفي، فالسلفيون يعتقدون أن طريقته هي الطريقة التي كان يعيش عليها الصحابة ويسيرونها، وطبقة الصحابة ليست فقط حقبة زمنية مباركة بل لها دور معياري، يوجب اتباع طريقتهما والافتداء بها (أحمد سالم وعمر بسيوني، 2015، ص29).

إن العقل السلفي في صياغة خطاب الهوية الجديد لا يكتفئ بالدولة بجل ما تكفله، بل يعقد تشكيل هويته على المتخيل الذي يرى أنه تمثيل للماضي، ويجري ذلك بتكيف واقعي عملي مع ما فوق القومية المعاصرة مع أممية شبكات تداول الأفكار، لا من حيث المضمون، بل تجعل تحويل كل مضمون تنطوي عليه هذه التحويلة الكوسموبوليتية «cosmopolitisation» (أوليفيه روا، 2010، ص46) السلفية، إلى الرهان على الماضوية، لكنها ماضوية أيضاً متصالحة مع الدولة،

ومع فكرة ولي الأمر، إن الفرد السلفي الذي نشأ على فكرة إلزم الصبر ولو ضرب ظهره وأخذ مالك، هو في حقيقة الأمر مواطن صالح ويحترم القانون، ولا يسبب أي إزعاج أني للسلطة، لكن إزعاجاته تقع هناك في نهاية رحلة التربية والتصفية، حيث أن الشيخ الألباني تحدث أيضا عن المفصلة، وتحدث عن كيفية استرجاع أممية الأمة، بعد أن يميز الله الخبيث من الطيب، إذ يقول: ويجب على أهل العلم أن يتولوا تربية النشء المسلم، على ضوء ما ثبت في الكتاب والسنة، فبعد تصفية هذه الأمور-العقائد والعبادات- وإيضاح ما يجب الانطلاق والسير فيه، لا بد من تربية النشء الجديد على هذا العلم الصحيح، وهذه التربية هي التي ستثمر لنا المجتمع الإسلامي الصافي، وبالتالي تقيم لنا دولة الإسلام (محمد ناصر الدين الألباني، 2001، ص30-31).

ولذلك نجد السلفيين اليوم منهمكين في عملية التصفية والتربية، وغير مهتمين بما يحدث حولهم، معتبرين أن العالم الافتراضي أحد الطرق، التي تجعلهم يعيشون على طريق الحق، وعلى الجادة كما يفكر العقل السلفي، حيث إن حياة السلفي وحسب غوستاف لوبون تنتسب إلى عالمين، عالم واقعي وعالم افتراضي (محمد علي فرح، 2014، ص29)، فعلمه الواقعي لا يعجبه ولا يعكس خياراته، فلذلك نجده منسحبا منه، وينظر إليه على أمل التغيير، أما عالمه الافتراضي فهو ملم به ومنشغل به، ويسعى إلى نقله إلى الواقع، إنها فكرة الأمة التي لم تقارق عقله، وهي في كل يوم تزداد وضوحا وتجليا، فهو يدعو إلى الله، ويدعوا أيضا لقيام دولة الأمة الإسلامية، وفتح دار الكفر، ورفع راية الإسلام، هكذا يفكر السلفي وهو يصنع مجموعته الافتراضية، فهي غير محدودة داخل الحواسيب، لكن واقعه جد محدود في كل مدينة يعيش فيها السلفيون.

هذا الفتح الثقافي بالرغم من التوجس السلفي الذي نشأ مع البدايات الأولى لاستخدام مواقع التواصل، لكن سرعان ما تحولت السلفية إليه لتكسب الرهان، واتخذته مركزا فعالا للدعوة، في ظل الراهن وما يحدث، ليس على المستوى المحلي فقط، بل على المستوى العالمي، وخصوصا الانتشار الواسع للنمط السلفي في المجتمعات غير المسلمة، أوروبا وإمريكا.

وإذا رجعنا إلى خطابها فهو يسري كدعوة إلى ترقية الدين من الشوائب على طريقة الفهم الأول، ولذلك فالمتمتع لجميع المواقع السلفية، على الأنترنت يجد أنها تميز نفسها عن جل الخطابات باسترجاع الماضي، بل إن القارئ لجميع الصفحات والمنديات وكل مواقعها، يجد أنها متشابهة إلى حد التطابق، ويرجع ذلك إلى قيامها على الأصول والقواعد نفسها، التي تقرأ التراث حرفيا فهي تخضع للتكرار والاجترار الفكري، بل إن القارئ يجد توثيقاتهم ومراجعهم لا تخرج عن الشكل الانتقائي، الذي يمثل خطأ مخصوصا، يشتمل على جملة من العلماء القدامى والمعاصرين، الذين يتخذون نقلاتهم وبالتالي فالعقل السلفي لا يمثل في تواصله الإلكتروني إلا مجرد إعادة إنتاج لواقعه، ولكن هذه المرة بصورة كونية جعلت من الماضي المنبعث لاستغراق تلك المجموعات السلفية على الفايبيوك أو المواقع اليوتوبية، بتصعيد الإيديولوجيا الشمولية العالمية تلك، التي تستند إلى الأمة، أمة المؤمنين (أوليفيه روا، 2010، ص46) في الفضاء العام الإلكتروني، فيقيناها في الماضي وإعطائها دفعة في حمل رايته لاستعادته، بأحدث التكنولوجيا، حيث يقول أحد الباحثين: غيرنا يوظف الإنترنت في محاربة الله ونحن نوظفها في الدعوة إلى الله وإلى حسن عبادته (المقابلة رقم 01، 2018/03/01).

إنه تضخم الأنا، وجرح الذات، الذي يجعل السلفية تشعر بالوصاية على أمة نسيت حقيقة دينها، فالسلفيون يعتقدون أنهم يمتلكون التوليفة الصحيحة للدين، والتي بمقدورها إخراج الأمة من حالة الضعف والوهن، وأن الأمة لا تعني دولة من دول المسلمين، لكنها تعني كل المسلمين مجتمعين على عقيدة واحدة ومذهب واحد، إنه حلم سلفي ربما يببوا خيالها وطوبوايا، لكن العقل السلفي يؤمن به ولا يتوانى لحظة واحدة في التحضير له، خاصة مع التكنولوجيا التواصلية التي أتاحت لهم حرية التواصل وحرية الانتماء، إلى كيانات عبر قومية، تقف الدولة عاجزة أمامها، إن السلفيين

من خلال التواصل الرقمي قد وجدوا ضالتهم، خاصة أنهم جزء من أمة يفوق تعدادها المليار ونصف المليار، والتواصل عبر الإنترنت زاد من يقين السلفيين في تحقيق مشروعهم الأممي، كون عائق التواصل قد أزيح من طريق جماعة تعمل في صمت وتضع أهدافها نصب عينيها، وهي تجتهد في إقحام التكنولوجيا التي يعتبرها منتقدو الحداثة من العوامل التي أدت الى تراجع كل ما هو وجداني، وهي تجعل قمة الترف العقلي، في صلب مشروعها الدعوي، حيث أصبح الدين يعاد إنتاجه عن طريق التكنولوجيا التواصلية، وبطرق أكثر سلاسة وأكثر قدرة على استهداف الشباب، الذي يعتبر من بين أكثر الفئات العمرية إقبالا على التيار السلفي(كرايس الجبلاي، 2017، ص76).

خاتمة:

في الأخير يمكن القول: إن النشاط السلفي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هو نشاط ديني بالدرجة الأولى، الهدف منه الدعوة إلى العقيدة الجماعة والترويج لها، كون تلك المواقع خاصة الفيسبوك، هي ملاذ للكثير من الشباب، المثقف، والذي يشعر بنوع من السخط، اتجاه الوضع السياسي والثقافي والاقتصادي لمجتمعه، وبذلك هي تحاول أن تقدم له جملة من الحلول، الممزوجة بنبرة دينية، تفيد بأن الحل لكل المشاكل يكمن في التصالح مع الدين، وإعادة الاعتبار له وفق ما كان عليه في العصر الأول لظهور الإسلام، كما أن التكنولوجيا التواصلية أتاحت للسلفية فرصة لا تعوض للتواصل في ما بينهم، خاصة أنها تقنية غير محدودة، ولا يمكن مراقبتها، وبذلك فإن مفهوم الأمة والتواصل مع المسلمين عبر العالم، دون حاجز اللغة أو العرق واللون، كان بمثابة فتح ديني للعقل السلفي، الذي لا يكف عن المطالبة بإحياء مفهوم الأمة كقيمة بين جميع المسلمين، إضافة إلى كل هذا، فإن التكنولوجيا مكنت السلفيين، من رد على المخالفين لهم، بطريقة أكثر فعالية، كون الخطاب وفلسفة الردود، لم تعد حكرًا على النخبة، من كل طائفة، بل أصبحت في متناول الجميع، عن طريق إقامة الحجة والدليل، وبالتالي كسب المزيد من المؤيدين للطرح السلفي، كما أن أهم ما وفرته مواقع التواصل للسلفيين، هو خاصية العالمية والانعقاد والتحرر من سلطة الحدود والوطن، إذ يمكن القول: إن الدولة الوطنية ماهي إلا مرحلة مؤقتة بالنسبة للسلفيين، إلى حين إعادة بعث مشروع الأمة في عالميته وكونيته.

قائمة المراجع:

1. أبو اللوز عبد الحكيم(2009)، الحركات السلفية في المغرب (2004-1971): بحث أنثروبولوجي سوسولوجي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
2. أبو رمان محمد ، حسن أبو هنية(2014)، الحل الإسلامي في الأردن: الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والأمن، مر: ميس نوايسة، فراس خير الله، مؤسسة فريديريش إيبيرت، عمان، الأردن.
3. أبو رمان محمد(2014)، أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين، مؤسسة فريديريش إيبيرت، عمان، الأردن.
4. أدامز نيكولاس(2016)، هابرماس واللاهوت، تر: حمود حمود، شهيرة شرف، ط1، دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان.
5. باومن زيجمونت(2017)، الازمنة السائلة: العيش في زمن اللاتيقين، تر: حجاج أبو حجر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان.
6. البريدي عبد الله(2014)، السلفية السنية والشيعية: بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
7. بن ببيمون كلثوم(2016)، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية، مجلة إضافات، ع33-34، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومركز دراسات الوحدة العربية.
8. تيزيني الطيب(1997)، النص القرآني: أمام إشكالية البنية والقراءة، الجزء5، دار الينابيع، دمشق.

9. الجابري محمد عابد(1993) نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ط6، المركز الثقافي العربي، بيروت.
10. الجباعي جاد الكريم(2017)، في الحاجة إلى فكر ديني، الاطلاع، 2018/06/17، موقع مؤمنون بلا حدود، أنظر الرابط: <http://www.mominoun.com>
11. حيدر إبراهيم علي(د س)، الدين والثورة: لاهوت التحرر في العالم الثالث، منشورات نجمة، الدار البيضاء، المغرب.
12. روا أوليفيه(2010)، نحو إسلام أوروبي، تر: خليل أحمد خليل، ط1، دار المعارف الحكيمة.
13. زرواتي رشيد(2002)، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، ط1، دار هومة، الجزائر.
14. سالم أحمد، بسبوني عمرو(2015)، ما بعد السلفية: قراءة في الخطاب السلفي المعاصر، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان.
15. سبعون سعيد(2012)، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، ط2، دار القصبة ، الجزائر.
16. العاني خليفة نوري مسيهير(2009)، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق.
17. عبيدات محمد وآخرون(1999)، منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، ط2، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
18. العزاوي كرو، رحيم يونس(2007)، مقدمة في منهج البحث العلمي، ط1 دار دجلة، عمان.
19. علي نبيل(2001)، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية مستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
20. عماد عبد الغني(2016)، السلفية والسلفيون: الهوية والمغايرة، قراءة في التجربة اللبنانية، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت لبنان.
21. غراويتز مادلين(1993)، مناهج العلوم الاجتماعية: منطلق البحوث في العلوم الاجتماعية، تر: سام عمار، مر: فاطمة الجبوشي، ط1، المركز العربي للتعريب والترجمة والتألف، دمشق.
22. فرح محمد علي(2014)، صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع، ط1، مطابع البانات الدولية، لبنان.
23. كرايس الجبلاي(2017)، السلفية الدعوية في ولاية تيسمسيلت التدين والسياسة، رسالة ماجستير، تخصص علم الاجتماع السياسي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران 02، الجزائر.
24. مجموعة الدعوة السلفية في تيسمسيلت تاريخ الاطلاع: 2018/08/12، انظر الرابط: www.facebook.com/tissemsilt.slf1
25. محمد ناصر الدين الاباني،(2001)، التصفية والتربية وحاجة المسلمين اليها، ط1، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.
26. موقع التصفية والتربية، تاريخ الاطلاع: 2018/08/12، أنظر الرابط: <https://www.facebook.com/groups/193778890685679/about>
27. موقع المعرفة، مال بعنوان: ولاية تيسمسيلت، تاريخ الاطلاع: 2018/08/12، أنظر الرابط: <https://www.marefa.org>
28. موقع قناة منهاج النبوة الفضائية، تاريخ الاطلاع: 2018/08/12: انظر الربط: <https://www.facebook.com/MenhagTV>
29. ناشماز شافا فرانكفورت، ناشماز دافيد(2014)، طرائق البحث في علم الاجتماع، ترجمة ليلي الطويل، ط1، بترا للنشر، دمشق، سوريا.
30. هابرماس يورغن وآخرون(2013)، قوة الدين في المجال العام، تر: فلاح رحيم، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، العراق.

31.الياسين قاسم محمد بن المهمل(2012)، الهوية الإسلامية، ط1، مركز بدور للثقافة والترجمة: الكويت.